

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الجهود المبنيّة على الحديث بمعنى الاعمال التى تنظم فى مجال الحديث، مشتملة على التحقيق و الكتابة و ترويج كلام رسول الله و الأئمة الهدى عليهم السلام؛ لها تاريخ قديم، بل يعود الى حياة نبي الرحمة و افعال ذلك الرسول الكريم. كان صلى الله عليه وآله يحكى للناس الحقائق الوحيانية بلغة الوحي و حذر فى الوقت نفسه ممّن يكذب عليه عن علم و تعمّد، أى كان يفتح اعين الناس على ظاهرة التزوير و التحريف القبيحة.

٢- بعد وفاته صلى الله عليه وآله واصلت هذه الجهود، ضمن إجراءات الحراس الوفيين القليلين الذين تجاهلوا المنع الذى فرضته الحكومة على عدم الترويج للحديث و البيان و كتابة الحديث. اولئك حاولوا بالبيان و البنان فى نشر التراث النبوى الثمين. وفى هذا الصدد، حصيلة عمل الشيعة جدير بالثناء و الفخر. اربعمائة اصل وحده، نبذة من هذه الحصيلة. و ربّما من وراء الكواليس حدثت المحاولات الضوئية و التضحيات النادرة على هذا الطريق التى لم تصل الى الاجيال القادمة. شهادة الله العالم بالغيب وحدها هى التى تدلّ على كرامتهم و ثوابهم.

٣- على جبين هذه السلسلة الضوئية كتب شاملة منذ نهاية القرن الثالث. كم من المعاناة المؤلمة التى تحمّلوها ليوصلوا الكنوز القيّمة و نحن نظنّ خطأ أنّه تمّ الوصول اليه منذ اليوم الأوّل دون تكاليف باهظة و قبول المخاطر الصعبة. مهّدت تلك الكتب الشاملة الطريق لأعمال القيّمة بحيث ظهرت فى فترات لاحقة مجموعات حديثيّة بترتيبات و اقسام جديدة و مبنيّة على الحاجة ممّا أدّى الى إثراء مكتبة مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

٤- كل هذا كان من قبل التطورات الصناعية والاتصالات السريعة في القرنين او الثلاثة قرون اخيرة. ورغم أنّ هذه التغيرات العميقة حدثت في عالم الصناعة إلا أنّ أصداء التغيير ترددت في اجواء الفكر والمنهج وثقافة حياة الناس. وبعد هذه التغيرات وجد الانسان اختلافات جدية مع الانسان قبل ذلك في جميع مجالات الحياة واتخذ مجال الحياة الشخصية والاجتماعية لونا مختلفاً؛ كما تركت هذه التغيرات آثاراً واضحة ايضاً ولموسة على ثقافة قبول الوحي من قبل الشعب.

٥- نعيش الآن في عالم صعب ومعقد وملئ بالتغيرات وملئ بالاسئلة الجديدة ويحتاج الى إجابات معقولة ومنطقية. لقد تخلى جيل اليوم عن لغة الأمس ويركض كالعطشان وراء الماء ليروي عطشه. إنّ الاستغلال من قبل مبتكرى المياه الملوثة من هذا العطش الكثير والسؤال المتزايد، هو واقع مريع يحدث في مثل هذه البيئة. إنّ تجاهل كل هذه الكيفيات ليس من قواعد العقل ولا من قواعد الحكمة.

٦- كنز الحديث عبارة عن مجموعة من المعلومات التي اذا لم تتم معالجتها ولا يقوم انتاج العلم بمعنى اليوم عليها فإنها تبدو كأنها مجموعة راكدة ورجعية. مثل هذا الكنز بهذه النظرة في الدنيا التي لا يوجد فيه الانقطاع ويتطلع الى المستقبل في كل لحظة لا منزلة له في الوهلة الاولى. وهذا احد اسرار النفور من الدين وأحياناً معاداة الدين لدى بعض أبناء الجيل الجديد الذين هم فضوليون ويتابعون الأخبار ولا يفهمون الماضي.

٧- وفي مجال الحياة الاجتماعية تتم مناقشة التبعات البيئية والاجتماعية الناجمة عن أنشطة التنمية باعتبارها تحدياً يتطلب حلولاً حديثة، حلولاً تطرح علمية ومدروسة وواقعية ويمكن رؤية هذه الحقيقة بطريقة أخرى: التبعات الثقافية والدينية والعقائدية للأنشطة التنموية أى تتطلب ضرورة إحياء المنظومة الدينية والعقائدية المتضررة. إنّ الشرعية الاخلاقية للمؤسسات الدينية وخاصة المؤسسات المسؤولة عن النصوص الوحيانية تعتمد على ادراك هذه الضرورة.

٨- وائى الرعونة والحياة اليومية في العملية يؤدى الى حرق الفرص وإهدار رأس المال المعنوى للأمم. إنّ الافكار والمناهج المناهضة للتحوّلات لا تجد مكاناً في بيئة اليوم،

فضلاً عن بيئة المستقبل. فالفهم العميق والشامل والمعصّر للتطورات، هو الأقل ضرورة للمؤسسات والمراكز التي أدرجت الجهود المبنيّة على الحديث في برنامجها. ألم يحذّر امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ببيان سماويّ منذ قرون: «إنّ أخا الحرب الأرقّ ومن نام لم يُنم عنه» (نهج البلاغة، رسالة ٦٢)

٩- اليوم يتوقّع الناس الحصول على إجابات لأسئلتهم وإحتياجاتهم من خلال إنفاق أقلّ قدر من الوقت والمال. فاذا لم يحصلوا على إجابة يتخلّون عن هذه المدرسة ويتّجهون الى مدارس أخرى تجيبهم. الرجل العطشان يطلب الماء و اذا لم يجد إحتياجاتها من المياه النظيفة والصافية فإنّها يتّجه الى المياه الملوّثة. الكلام أبعد من هذا اليوم يبتعد الجميع عن التعميمات و يبحثون عن مدرسة تقدّم ميثاقاً شاملاً لحياة اليوم و تعطى مؤشرات عمليّة دون الحاجة الى تقييم أساسيّات تجميع المؤشرات. وفي هذه الأثناء ينبغي على محاولي مدرسة اهل البيت عليه السلام ارشاد المستخدمين الى المؤشرات السماويّة، استناداً الى خزانة الحديث الغنيّة مع المعالجة اللازمة.

١٠- فاذا تخلّى أولياء مدرسة اهل البيت عليه السلام والمجتهدون في مجال الحديث عن اتباع النهج الفاعلي فسوف يضطّرون الى منهج سلبي وردّ الفعل الذي لا يحتاج قصوره الى الايضاح. معرفة الفرص و تهديدات الفضاء الجديد و الحلّ لمواجهة التحديات الجديدة ضرورة نتيجة انكارها لن تؤدّي الا الى إزالة مثل هؤلاء الممثّلين من المشهد. وهذا القانون العام والجامع ينطبق ايضاً على أولياء الجهود المبنيّة على الرواية، طوعاً أو كرهاً.

١١- لقد شهد فضاء رواية الحديث و دراية الحديث أوراقاً مشرقة في إتّجاه نشر ثقافة اهل البيت عليه السلام. لكن مرافقة البيئة الجديدة تتطلّب إجابات لاسئلة جديدة، اسئلة مثل:

* ما هي مكانة الذكاء الاصطناعي في سماء مستقبل دراسة الحديث و ما هي كفيّة التفاعل معها؟

* ما هي مكانة التقنيات والادوات والاساليب التعليميّة والبحثيّة اليوم في الجهود الثقافية المتعلّقة باهل البيت عليه السلام ؟

* والى اي مدى يستفيد المحاولون في مجال الحديث من كل هذا التنوع والشمول؟

*هل هناك توازن بين البحث و الترويج في مجال الحديث؟

*الى اى مدى تثمّن أجواءنا الحديثية الجهود الترويجية؟

*هل هذا هو النهج الصحيح لارسال اشخاص ذوى المواهب المنخفضة و الجودة المنخفضة الى المناطق المحرومة و تجاهل كل الخلفية الفكرية و الامكانيات الالمنية الموجودة فى هذه المناطق؟

*هل وصلت البحوث المتعددة التخصصات و البحوث الميدانية و البحوث التطبيقية و المبنية على المسألة الى مكانتها الصحيحة فى مجموعة الجهود المبنية على الحديث؟

١٢- على اى حال؛ هذا المجال الصعب يحتاج الى نخبة من الناس الذى:

*يكون متجذراً فى التقليد القديم لاحاديث الامس و متجذراً فى بيئة اليوم المبنية على المعلومات.

*وله مع الاعمال الطويلة الامد، جذر تأسيسى و الخلّة و الوثام.

*لا تلوّث العمل الثقافى الاساسى بالعمل المبنى على العرض و تحديد الكميات و التظاهر. ليعلموا أنّ الديناميكية المتأصلة فى الثقافة تجذب دائماً عناصر جديدة الى الفضاء الثقافى. هذا الجذب ما يزال يحتاج الى الترحيب الوافر.

١٣- إنّ اهمّ عنصر ضرورى لأولئك الذين يحاولون فى مجال الحديث و مولّد التيار و التحويلية أن يهتموا دائماً الى ذلك الامام الكريم، الذى إمامته نظام الدين و قبول ولايته هو محور الدين. سيتمّ ذلك الكريم حلّ كلّ اضطرابات ديننا و دنيانا و ليس هناك أمل فى إنتظام الامور إلا بانتظاره، الذى قال جدّه الكريم باب مدينة العلم النبوى امير المؤمنين عليه السلام ضمن تفسير الحروف الهجائية فى تفسير التاء: «والتاء تمام الامر بقائم آل محمد عليه السلام» (معانى الاخبار، ص ٤٣). نأمل الى الرعاية الربانية بعبارة «يا مبتدئاً بالنعيم قبل استحقاقها» و نرجو أن يصلح الله نواقصنا مع ظهور هذا الذى هو تمام الأمر. آمين!